النهار

2006041 2-0005a-2

موقع النهار بصيغته الجديدة
النهار

أدب فكر فن

"النهار"

الاربعاء ١٢ نيسان ٢٠٠٦

"يوم الحشرة" لسوسن بو خالد في "دوّار الشمس"

ممتع جذّاب وساعة قصيرة جداً

في فضاء مادي ظاهراً ومعنوي باطناً، تتحرك كتلة حية غير واضحة الطبيعة، تدب ارضاً بين الانسان والحيوان. فيما صوت "الأوف" يفسّر للحضور في مسرح "دوّار الشمس"، الطيونة، طرق عيش بعض الحشرات، كالجرادة مثلا، والفروق في تصرفها بحسب وجودها في حال انفراد او منضوية في جماعة. لـ"الأوف" مضمون علمي صرف، بينما لحركة الكتلة الحية على المنصة ايحاءات كالتي تنبىء متابعها بأنها تبتغي التخلص من ثقل يتعبها. موسيقى كالطنين الضبابي يطفو على الحضور، وتثابر الكتلة الحية على انزلاقها زحفاً، محاولةً الآن بانزعاج يثقل بدنها الذي يشي بأنه مركّب من أكثر من جزء: فجأة ينفجر دوي تليه عتمة تعمّ الفضاء المعني بالمجريات، وهو يغطي زاوية وسطية من منصة المجمع العريضة العميقة، يرافقهما صمت كامل يلفّ المكان ، لكأن شيئاً رئيسياً سيحدث.

مع عودة الضوء تتوضح الصورة لجمهور يجد نفسه تدرجاً امام امرأة تستعيد مظاهر انوثتها، ودمية تكاد تبدو شبه حقيقية لرجل نفهم أنه زوج جرّه مقاتلان من بين ذراعي زوجته وهي لا تزال، حتى لحظة دوران العرض، في انتظار رجوعه من غيبته. هذا يدلّ على موضوع "يوم الحشرة" لسوسن بو خالد، الذي بدأ عرضه الاسبوع الماضي ويعرض هذا الأسبوع أيضا بدءا من غد الخميس والى يوم الاحد، والقائم على الاصداء التي تتردد حتى اليوم في اعماق لبنانيين اختمرت فيهم بفضل الزمن معطيات اقوى التصاقا بالانسان المجروح الذي حوّل غضبه الى حزن مدمن. فوحده الانسان الحي يصادر كل الاوجاع، بل يتكفل ابقاء الغائب نابضاً بكل حرارة وجوده، كأنه وراء الباب وعلى اهبة ولوج الدار بعد مغادرة قسرية، والزوجة على استعداد لاستقباله بالقلب وبالجسد.

تبني سوسن بو خالد عرضها المونودرامي على الطابع الايمائي الحر الذي يتعامل بتصرف تام مع معجم تعبيري خام لجسد قلق، مضغوط على اعضائه، ملتحم بانفعالاته، ودوماً في حال استنفار. ومن ثم يجيء التكامل بين ممثلة توكل الى بدنها المطواع تحريض دمية على تقمص زوج بين حاضر وغائب، كأنه في الحالين ضيف دائم على ذاكرة ترفض القبول، بما في ذلك من تأكيد لضياع عالم تتيه معالمه بين ايهام وخيال. دور الدمية التي تكاد تبدو حية، وهي كذلك في وجدان المرأة، يبتغي الايحاء الفيزيائي أن الوهم واقع، وأن الدمية نفسها تجسّم، بين المتخيل والممكن، رغبات مشحونة بشغف يلغي احجية الزمن والضباب، وأن مجريات العرض تريد بناء عالم نفسي على منصة من فضاء فارغ واضواء شاحبة وموسيقى مؤاتية وازياء

معبرة. النتيجة: عمل من ضغط انفعالي وحفر في ذاكرة، ولحظات ملغومة تحمل براءة رمادية تطعّمها مشاهد من عنف تعبيري جنسي، واخرى مصقولة كأنها صممت لسرد عواطف كالتي تبقى في اعماق الضمير بعد انهيار سدود النسيان.

في عرض مدته اقل من ساعة، يغرق الجمهور في منصة تروي بحرارة صدامية، حكاية امرأة تعيش على ايقاع بارد مفخخ بالاوجاع، صوراً من ذاكرة يخمّر الزمن تفاصيلها من دون ان يفقدها نضارة تستيقظ فيها كلما دبّ الحنين في بواطن وجودها. اداة العرض ممثلة، مؤدية، ايمائية. والكلمة الاخيرة هي الأصدق. وهي توظّف طاقات بدنها – مع بعض اشارات الضعف – لايصال الداخل الحميم الدفين الذي يصنع الوجه الموجع لغياب الحبيب. تعرف سوسن بو خالد كيف تحافظ على نمط ذكي بارع في رسم صورة ناتئة لامرأة في الانتظار المزمن لزوج خطف من سريرها، منذ ايام كثيرة. كايمائية حرّة، تتوصل الى تزخيم ادائها بمفردات جسدية تلون حضورها على المنصة بانفعالات تتجاوز مؤديتها لتصيب على نحو مباشر الحركات المكملة لها والتي توحيها بلباقة طريفة لدمية تبدو مراراً كالكائن الحي.

العرض ثمرة قالب ايمائي صمّمته سوسن بو خالد بكل حواسها. يدين هذا العرض بركائز وجوده الى فنانة شابة في طور التحضير لنيل دكتوراه في فنون المسرح، لا تكتفي بإيجاد فكرة العرض وتصوّر المحطات المشهدية، إنما تصادر المخرجة لمصلحتها، كما يفترض بعروض "البرفورمانس"، ابتكار كل الركائز، تاركةً لبعض الزملاء تصور الغلاف السينوغرافي العام (تصميم حسن بيضون وتنفيذه) والغلاف الضوئي (سرمد لويس) والمرافقة الصوتية (روجيه عساف). ولهؤلاء الثلاثة حضور خصب في تحريك المنصة التي تنعشها سوسن بو خالد باداء ايمائي يكتسب بعض تلاوينه من ضوء حميم هنا، غرائزي هناك، ووحشي هنالك، ومن جو سينوغرافي يزيد من ضغط درامي تُمرّه مؤدية تجعل جسدها بؤرة فيزيائية متفجرة، ولا حدود لرغبتها في الايحاء بمعجم غرائزي يبدو هنا للتذكير فقط بأن هناك لبنانيين لم ينسوا ابداً من ذهبوا ليعودوا ولم يرجعوا حتى اليوم.

بعض المشاهد يصعب نسيانها لما فيها من عنف بين الفيزيائي والنفسي. اذكر منها لحظة فوران الرغبات الجنسية والمطارحة الغرامية بين المرأة ودمية زوجها، بوحشية هذيانية تبني في ذاتها لحمة غرائزية غرائبية بين من هم في الصالة والترابط العنيف على جدار المنصة بين المرأة والدمية.

"برفورمنس"؟ نعم، وان تكن مقوّمات عرض "يوم الحشرة" من طينة العروض الدرامية النفسية! الى كونه عرضاً ممتعاً جذاباً في ساعة بدت قصيرة جداً.

نزيه خاطر
nazih.khater@annahar.com.lb